بُنَاة دَولَةِ الإسلام

٤٠

أبو دُجانة

سِماك بن خَرَشَة

رضي الله عنه

أُسْرَتُهُ

هُوَ سِمَاكُ بنُ خَرَشَةَ بنِ لَوْذَانَ بنِ عَبْدِ وُدِّ بـنِ زَيْدٍ السَّاعِدِيُّ الخَزْرَجِيُّ. وَأُمُّهُ حَزْمَةُ بِنْتُ حَرْمَلَةَ مِنْ بَنِي زِعْبٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمِ بنِ مَنْصُورٍ.

تَزَوَّجَ آمِنَةَ بِنْتَ عَمْرِوبنِ الأَجَشِّ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ وَلَدَهُ خَالِداً.

إِسْلَامُهُ

أَسْلَمَ أَبُو دُجَانَةَ مُنْذُ أَنْ أَخَذَ الإِسْلَامُ طَرِيقَهُ إِلَى المَدِينَةِ بَعْدَ بَيْعَةِ العَقَبَةِ الأُولَى.

وعِنْدَمَا هَاجَرَ رَسُولُ اللّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَآخَى بَيْنَ المُسْلِمِينَ آخَى بَيْنَ أَبِي دُجَانَةَ وَبَيْنَ عُتْبَةَ بنِ غَزْوَانَ.

جِهادُهُ

شَهِدَ أَبُو دُجَانَةَ المَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ يُعْلَمُ بِالزُّحُوفِ بِعِصَابَةٍ حَمْرَاءَ. وَكَانَتْ عَلَيْهِ يَوْمَ بَدْرٍ.

وَحَضَرَ أُحُداً، وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَيْفاً قَبْلَ المَعْرَكَةِ، وَقَالَ: مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟ فَقَامَ إِلَيْهِ رِجَالٌ، فَأَمْسَكَهُ عَنْهُمْ حَتَّى قَامَ إِلَيْهِ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بنُ خَرَشَةَ، فَقَالَ: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: أَنْ تَضْرِبَ بِهِ العَدُوَّ حَتَّى يَنْحَنِيَ، قَالَ: أَنَا آخُذُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِحَقِّهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ. فَلَمَّا أَخَذَ السَّيْفَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْرَجَ عِصَابَتَهُ الحَمْرَاءَ، فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ، وَجَعَلَ يَتَبَخْتَرُ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ رأى أَبُو دُجَانَةَ يَتَبَخْتَرُ: «إِنَّهَا لَمِشْيَةٌ يَبْغُضُهَا اللَّهُ، إلاَّ فِي هَذَا المَوْطِنِ». فَقَاتَلَ أَبُو دُجَانَةَ حَتَّى أَمْعَنَ فِي النَّاسِ.

وَرُوِيَ أَنَّ الزُّبَيْرَ بنَ العَوَّامِ قَالَ: وَجِدْتُ فِي نَفْسِي حِينَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، السَّيْفَ فَمَنَعْنِيهِ وَأَعْطَاهُ أَبَا دُجَانَةَ، وَقُلْتُ: أَنَا ابنُ صَفِيَّةَ عَمَّتِهِ، وَمِنْ قُرَيْشٍ، وَقَدْ قُمْتُ إِلَيْهِ فَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُ قَبْلَهُ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَتَرَكَنِي،

وَاللَّهِ لَأَنْظُرَنَّ مَا يَصْنَعُ؛ فَاتَّبَعْتُهُ، فَأَخْرَجَ عِصَابَةً لَهُ حَمْرَاءَ، فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ، فَقَالَتِ الأَنْصَارُ: أَخْرَجَ أَبُو دُجَانَةَ عِصَابَةَ المَوْتِ، وَهَكَذَا كَانَتْ تَقُولُ لَهُ إِذَا تَعَصَّبَ بِهَا. فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ:

أَنَا الَّذِي عَاهَدَنِي خَلِيلِي
وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيلِ
أَلاَّ أَقُومَ الدَّهْرَ فِي الكُيُّولِ(١)
أَضْرِبُ بِسَيْفِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ

فَجَعَلَ لاَ يَلْقَى أَحَداً إِلاَّ قَتَلَهُ، وَكَانَ فِي المُشْرِكِينَ رَجُلٌ لاَ يَدَعُ لَنَا جَرِيحاً إِلاَّ ذَفَّفَ(٢) عَلَيْهِ، فَجَعَلَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَدْنُو مِنْ صَاحِبِهِ. فَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُمَا، فَالْتَقَيَا فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ، فَضَرَبَ المُشْرِكُ أَبَا دُجَانَةَ، فَاتَّقَاهُ بِدَرَقَتِهِ، فَعَضَّتْ بِسَيْفِهِ، وَضَرَبَهُ أَبُو دُجَانَةَ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ قَدْ حَمَلَ السَّيْفَ عَلَى مَفْرِقِ هِنْدَ بِنْتِ عُتْبَةَ، ثُمَّ عَدَلَ السَّيْفُ عَنْهَا قَالَ الزُّبَيْرُ: فَقُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ أَبُو دُجَانَةَ: رَأَيْتُ إِنْسَاناً يَخْمِشُ النَّاسَ خَمْشاً

(١) الكيّول: آخر الصفوف في الحرب.
(٢) ذفف عليه: أجهز عليه.

شَدِيداً، فَصَمَدْتُ لَهُ، فَلَمَّا حَمَلْتُ عَلَيْهِ السَّيْفَ وَلْوَلَ، فإِذَا امْرَأَةٌ، فَأَكْرَمْتُ سَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ أَضْرِبَ بِهِ امْرَأَةً(١).

وَتَرَّسَ أَبُو دُجَانَةَ يَوْمَ أُحُدٍ حِينَ وَلَّى النَّاسُ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِنَفْسِهِ، يَقَعُ النَّبْلُ عَلى ظَهْرِهِ، وَهُوَ مُنْحَنٍ عَلَيْهِ، حَتَّى كَثُرَ النَّبْلُ فِيهِ.

وَانْتَهَتْ مَعْرَكَةُ أُحُدٍ، وَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى أَهْلِهِ نَاوَلَ سَيْفَهُ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ، فَقَالَ: اغْسِلِي عَنْ هَذَا دَمَهُ يَا بُنَيَّةُ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ صَدَقَنِي اليَوْمَ. وَنَاوَلَهَا عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ سَيْفَهُ، وَقَالَ: وَهَذَا أَيْضاً، فَاغْسِلِي عَنْهُ دَمَهُ، فَوَاللَّهِ صَدَقَنِي اليَوْمَ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: لَئِنْ كُنْتَ صَدَقْتَ القِتَالَ لَقَدْ صَدَقَ مَعَكَ سَهْلُ بنُ حُنَيْفٍ وَأَبُو دُجَانَةَ.

وَكَانَ أَبُو دُجَانَةَ بِجَانِبِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي المَوَاقِفِ كُلِّهَا. وَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى حَجَّةِ الوَدَاعِ، جَعَلَ عَلَى المَدِينَةِ فِي إِحْدَى الرِّوَايَاتِ أَبَا دُجَانَةَ. وَهَذا مَا يَدُلُّ أَيْضاً عَلَى عُلُوِّ

(١) سيرة ابن هشام.

مَنْزِلَتِهِ بَيْنَ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ.

وَتَوَلَّى أَبُو بَكْرٍ أَمْرَ المُسْلِمِينَ فَارْتَدَّتْ أَكْثَرُ العَرَبِ، فَجَهَّزَ الصِّدِّيقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَهُمُ الجُيُوشَ، وَسَارَ المُجَاهِدُونَ إِلَى كُلِّ جِهَةٍ قَامَتْ فِيهَا رِدَّةٌ، وَكَانَ أَبُو دُجَانَةَ مِمَّن سَارَ إِلَى اليَمَامَةِ لِقِتَالِ مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ، وَمَن تَبِعَهُ.

وَكَانَتْ مَعْرَكَةُ اليَمَامَةِ مَعْرَكَةً طَاحِنَةً، وَكَادَ الكُفَّارُ أَنْ يَحْصُلُوا عَلَى شَيْءٍ إِلاَّ أَنَّ المُسْلِمِينَ حَمَلُوا حَمْلَةً صَادِقَةً دَحَرُوا فِيهَا العَدُوَّ وَأَلْجَؤُوهُمْ إِلَى حَدِيقَةِ المَوْتِ، وَفِيهَا عَدُوُّ اللَّهِ مُسَيْلَمَةُ، وَأَغْلَقَ الكُفَّارُ عَلَيْهِمُ الحَدِيقَةَ، وَأَحَاطَ بِهِمُ الصَّحَابَةُ، وَقَالَ البَرَاءُ بنُ مَالِكٍ: يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ أَلْقُونِي عَلَيْهِمْ فِي الحَدِيقَةِ، فَاحْتَمَلُوهُ فَوْقَ الحَجَفِ[1] وَرَفَعُوهَا بِالرِّمَاحِ حَتَّى أَلْقَوْهُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِ سُورِهَا، فَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُهُمْ دُونَ بَابِهَا حَتَّى فَتَحَهُ، وَدَخَلَ المُسْلِمُونَ الحَدِيقَةَ مِنْ

(١) الحجف: التروس من الجلد.

بَابِهَا وَمِنْ حِيطَانِهَا يُقَاتِلُونَ مَنْ فِيهَا مِنَ المُرْتَدَّةِ مِنْ أَهْلِ اليَمَامَةِ. وكَانَ أَبُو دُجَانَةَ قَدْ تَسَلَّقَ الجِدَارَ وَنَزَلَ إِلَى الحَدِيقَةِ فَكُسِرَتْ رِجْلُهُ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ يُبَالِي وَرُبَّمَا لَمْ يَشْعُرْ بِالأَلَمِ الَّذِي أَصَابَهُ إِذْ كانَ تَفْكِيرُهُ مُنْصَبّاً عَلَى القَضَاءِ عَلَى أَهْلِ الرِّدَّةِ لِلتَّمْكِينِ لِلإِسْلَامِ، وَلِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا، وَهَذِهِ مُهِمَّةُ المُسْلِمِ فِي الحَيَاةِ، ثُمَّ كَانَ حَرِيصاً عَلَى الشَّهَادَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَنَسِيَ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الأَلَمِ، وَاسْتَمَرَّ يُقَاتِلُ حَتَّى خَلَصَ المُسْلِمُونَ إِلَى مُسَيْلَمَةَ ـ لَعَنَهُ اللَّهُ ـ وَكَانَ وَاقِفاً فِي ثُلْمَةِ جِدَارٍ فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَحْشِيٌّ ـ قَاتِلُ حَمْزَةَ ـ فَرَمَاهُ بِحَرْبَتِهِ فَلَمْ يُخْطِئْهُ فَأَصَابَتْهُ وَخَرَجَتْ مِنَ الجَانِبِ الآخَرِ، وَسَارَعَ إِلَيْهِ أَبُو دُجَانَةَ، فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَسَقَطَ.

وَشَعَرَ أَبُو دُجَانَةَ بِالنَّصْرِ إِذْ حَقَّقَ أَوَّلَ هَدَفٍ وَهُوَ إِعْلَاءُ كَلِمَةِ اللَّهِ بِقَتْلِ عَدُوِّ اللَّهِ مُسَيْلَمَةَ. وَمَا دَامَ النَّصْرُ قَدْ تَمَّ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ يُسْعَى إِلَيْهَا ـ وَقَدْ أَصْبَحَ قَرِيباً مِنْهَا إِذْ كُسِرَتْ رِجْلُهُ وَلَمْ يَعُدْ بِإِمْكَانِهِ مُقَارَعَةَ الأَبْطَالِ الَّذِينَ يُحِيطُونَ بِهِ فَاسْتَمَرَّ فِي القِتَالِ حَتَّى سَقَطَ شَهِيداً فِي السَّاحَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي سَنَةِ اثْنَتَي عَشْرَةَ مِنَ الهِجْرَةِ.

شَخْصِيَّةُ أَبِي دُجَانَةَ

كَانَ أَبُو دُجَانَةَ امْرَأً قَلِيلَ المَالِ غَنِيَّ النَّفْسِ . وَلَمَّا سَأَلَ بَنُو النَّضِيرِ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يُجْلِيَهُمْ، وَأَنْ يَكُفَّ عَنْ دِمَائِهِمْ، عَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا حَمَلَتِ الإِبِلُ مِنَ الأَمْوَالِ إِلاَّ السِّلاَحِ ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ قَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، فَفَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَدْ تَرَكُوا بَعْدَ أَنْ أَجْلُوا أَمْوَالاً، وَكَانَتْ هَذِهِ الأَمْوَالُ خَاصَّةً بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَضَعُهَا حَيْثُ يَشَاءُ. وَذَلِكَ عَلَى أَنَّهَا مِنَ الفَيْءِ أُخِذَتْ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابنِ السَّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ، وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّه شَدِيدُ العِقَابِ﴾[1] . فَقَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الأَمْوَالَ عَلَى المُهَاجِرِينَ دُونَ الأَنْصَارِ. إِلاَّ أَنَّهُ قَدْ أَعْطَى سَهْلَ بنَ حُنَيْفٍ وَأَبَا دُجَانَةَ لِمَا كَانَا

(١) سورة الحشر الآيتان ٦ و ٧.

عَلَيْهِ مِنَ الفَقْرِ.

وَكَانَ قَلِيلَ الكَلاَمِ لاَ يَتَحَدَّثُ إلاَّ إذَا سُئِلَ أَوْ إذا دَعَتِ الحَاجَةُ إلَى الكَلاَمِ ، وَكَانَ يُرِيدُ الخَيْرَ لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعَاً ، لَيْسَ فِي صَدْرِهِ شَيْءٌ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ. قَالَ زَيْدُ بنُ أَسْلَمَ : دُخِلَ عَلَى أَبِي دُجَانَةَ وَهُوَ مَرِيضٌ، وَكَانَ وَجْهُهُ يَتَهَلَّلُ، فَقِيلَ لَهُ : مَا لِوَجْهِكَ يَتَهَلَّلُ؟ فَقَالَ : مَا مِنْ عَمَلِ شَيْءٍ أَوْثَقُ عِنْدِي مِن اثْنَتَيْنِ : كُنْتُ لاَ أَتَكَلَّمُ فِيمَا لاَ يُعْنِينِي وَالأُخْرَى فَكَانَ قَلْبِي لِلْمُسْلِمِينَ سَلِيماً .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ .